إصدارات موقع عيون المعرفة

www.know-e.com

العطاء الحضاري لمدينة تريم عبر أدوار التاريخ

عبدالحفيظ احمد العمري

ورقة عمل مقدمة لمهرجان الأدب اليمني السادس

المنعقد في مدينة عدن للفترة من ٢٤ -٢٧ مايو ٢٠١٠م

مقدمة

يقول الفقيه محمد بن أبي الحب واصفا مدينة تريم :-

نسيم جنوبها أبدا صحيح وطبع الجو فيها مستقيم
وطبع بيارها في الصيف برد وأيام الشتا هي الحميم
تعادل حرها والبرد فيها فلا حر يضر ولا سموم
وطبع البرد فيها فيه لطف يطيب نسيمه ينمو الجسوم
وحر الشمس فيها ليس يؤذي وبرد شتائها أبدا سليم
بلاد طاب مسكنها وطابت مباركة لها رب رحيم
فلو نظرت فلاسفة إليها لقالوا جنة الدنيا " تريم "

بهذه الابيات ابدأ الحديث عن مدينة تريم التاريخية التي تحتفل هذه الايام بكونها مدينة الثقافة الاسلامية لعام ٢٠١٠م ...فماذا لدى تريم من عطاء حضاري مكنها من تبوء هذه المكانة من بين اخواتها مدن التاريخ في اليمن السعيد ؟ اذ لم نقل مدن العالم الاسلامي قاطبة ؟!

ان العطاء الحضاري لأي مدينة انما يظهر بما تركته من بصمات واضحة للعيان على الانسان اولا والاثار ثانيا ولن يجدي عطاء الاثار بدون عطاء الانسان لان الانسان هو مرتكز النهضة – ايا كان نوع هذه النهضة .

في الصفحات القادمة سنعيش مع تريم الحضارة لا تريم التاريخ فانا لم يكن قصدي استعراض التاريخ الا ما يحتاجه التاريخ في موضعه لكن كل تركيزي على عطاء المدينة الحضاري حاولت ان استعرضه بقدر ما أعطتني المراجع من مادة يكمن عرضها ، وللحق فأن المرجع التي ُوثقت لتاريخ تريم ما تزال قليلة – كما هو الشأن في اغلب مدننا اليمنية التاريخية.

ولذا فقد استعرضت العطاء الحضاري لمدينة تريم من زاوية التاريخ متتبعا سير التاريخ فكان الاستعراض يمتد على عدة مراحل هي :-

١/ تريم قبل الإسلام ... منذ التأسيس وحتى ظهور الاسلام

٢/ تريم في العهد الاسلامي ...منذ اسلام اهل المدينة وحتى اواخر الدولة العباسية

٣/ تريم في عهد الدول المستقلة..منذ بدايات الدول المستقلة وحتى اوائل القرن العشرين

٤/ تريم في عصرنا الحالي .... منذ اوائل القرن العشرين وحتى الآن..

مع التركيز على الهجرة الحضرمية كنقطة تحول مهم لمدينة تريم وللدعوة الإسلامية .....

اولا :- تريم قبل الاسلام

١/ التسمية

ا- في النقوش :-

جاء اسم تريم في النقوش على شكلين:

١- ترم (بدون ياء) كما جاء في النقش ارياني ٣٢ (١)

٢- تريم (بالياء) كما وردت في نقش (جام ٥٤٧) ونقش اريانى٣١ (٢) وذلك لان من خواص اللغة اليمنية القديمة عدم كتابة أحرف المد (الألف – الواو – الياء).(٣)

ب- تسمية تريم في المعاجم العربية :

أما في المعاجم فجاء اسمها على النحو التالي : تريم بفتح التاء المثناة من فوق وكسر الراء ثم ياء مثناة من تحت، وقال عنها الهمداني في صفة الجزيرة "و تريم مدينة عظيمة"(٤) ، وقال أيضاً "و تريم و تريس بحضرموت"، وهي غير تريم من ديار تميم من مساكن العرب بين العراق والشام وهي بكسر التاء وسكون الراء- تِرْيم – من بلاد عذرة قديما بشمال ظبا بقرب جبل شار (٥) وردت في شعر كثيِّر وغيره منه قوله:

إليك تبارى بعدما قلت قد بدت جبال الشّبا أو نكَّبت هضب تِرْيم (٦)

والتي بحضرموت بفتح التاء المثناة وكسر الراء كما سبق.

٢/ النسبة:

إن تريم" قيل سميت باسم تريم بن السكون بن الاشرس بن كندة ويقال ان اول من عمرها تريم بن حضرموت بن سبأ الأصغر" (٧) أو كما جاء عند ياقوت :"تريم اسم إحدى مدينتي حضرموت اسم للناحية بجملتها، ومدينتاها تريم و شبام، وهما قبيلتان سميت باسمهما البلدتان". (٨) وقال آخر:"تريم كأمير مدينة بحضرموت سميت باسم بانيها تريم بن حضرموت"،(٩) وذهب إلى هذا الرأي اغلب المؤرخين العرب .

٣/ أهميتها في الزمن القديم:-

قبل الدخول لأهمية تريم يجب ان اقدّم لمحة عن دولة حضرموت التي كانت تريم جزءا منها

ا/ لمحة عن دولة حضرموت

كانت حضرموت في أقدم عهودها فقد كانت تابعة لدولة سبأ الكبيرة ثم موالية لها، وفي القرن الخامس ق،م، إبان ضعف الدولة السبأية خرجت حضرموت عن سبأ كغيرها وكونت دولة مستقلة، وقد نمت قوتها تدريجيا واكتسبت أهمية فائقة، خاصة لكونها تملك أرض اللبان في ظفار وكانت عاصمتها شبوه التي تقع في أقصى غرب وادي حضرموت على أطراف مفازة صيهد، وكانت تشمل في عز ازدهارها ظفارا ارض اللبان والنطاق الجنوبي الممتد حتى ساحل [بحر] العرب، وتمتد شمالا باتجاه الربع الخالي وما يحاذي العَبْر، بالإضافة إلى موطنها الأصلي وادي حضرموت، وتبرز أهمية هذه الدولة بوضوح من خلال ذكرها وذكر عاصمتها في المصادر الكلاسيكية، إذ تذكر أن شبوه عاصمة حضرموت كانت مركزا هاما لتجارة اللبان(١٠) لكن في الربع الأخير من القرن الثالث قبل الميلاد انتهت حضرموت كدولة على يد شَمّر يهرعش بن ياسر يهنعم وقد استطاع هذا الملك أن يوحد الكيانين السياسيين الباقيين وهما سبأ وحمير في كيان واحد، وأقام حكما مركزيا قويا وحمل لقب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وانتهت مأرب كعاصمة وحلت محلها ظفار، وقد عرفت هذه الفترة التي تبدأ بتوحيد المناطق اليمنية في وطن واحد وسلطة مركزية واحدة عاصمتها ظفار بفترة حمير..(١١)

ب/ الأهمية التجارية

لان تجارة حضرموت الشهيرة - تجارة اللبان والبخور- لذلك فقد اجتهدت الممالك الجنوبية في اختيار و إنشاء الطرق المناسبة لنقل سلعهم للأسواق الخارجية، يدعمهم في ذالك الاستقرار السياسي و المستوى الحضاري لأجل هذا كان لابد من خلق طرق للاتصال، والاتجار بين مناطق الجزيرة، والعالم القديم، فتوزعت طرق القوافل التجارية التي اعتمدت ظهور الإبل في تنقلاتها، وأشهر تلك الطرق (طريق البخور)، الذي كانت قوافله التجارية تمر بالمناطق الداخلية، ومن ثم تتجه إلى شمال الجزيرة وشرقها، وعلى جانب تلك الطرق قامت بطبيعة الحال مراكز للقوافل، بمثابة محطات لم تلبث أن تطور بعضها فأصبحت حواضر لممالك كبيرة.

فقد كان الملاك لأراضي البخور والمتاجرون به يجمعونه من مناطق إنتاجه في ظفار وحضرموت، ويرسلونه إلى ميناء قنا(ميناء حضرموت الرئيسي)، عبر طرق ساحلية وداخلية، ثم يتابع طريقه إلى العاصمة شبوه وكان من هذه الطرق :

١/ طريق بري رئيس يمتد من(ظفار) مصدر اللبان إلى وادي حضرموت، ماراً بالمراكز الحضارية – ومنها تريم – الممتدة على طول الوادي تتفرع منه طرقا فرعية برية.(١٢)

٢/ طريق بحري يمتد من ظفار إلى ميناء قنا، محاذياً للساحل، ومن ثم أراضي الجول المرتفعة إلى شبوه، وهناك من عاصمة حضرموت وحيث تلتقي مختلف الطرق يبدأ طريق اللبان الفعلي.(١٣)

ومن هنا كانت تريم موجودة في هذه الحقبة، بل أنها لعبت دوراً هاماً في طريق البخور، والتجارة بشكل عام، ونستدل على ذلك بعدة أمور منها:

١/ الموقع الاستراتيجي الهام، الذي تحتله تريم على طريق التجارة.

٢/ كانت بمثابة محطة للقوافل، فقد توفرت فيها المياه الصالحة، والأرض الزراعية، التي تلبي احتياجات القوافل.

٣/ وقوع مدينة تريم منذ ذلك الزمن حتى اليوم على طريق التجارة، فإلى اليوم تقع بها الطريق الدولية التي تربط اليمن بدول الخليج، عبر طريق (تريم – شحن بالمهرة) وسلطنة عمان وباقي الدول.

ثانيا :- تريم في العهد الاسلامي

ا/ اعتناق الإسلام

بظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي وانتشاره في ارجاء الجزيرة العربية لبت قبائل عديدة لدعوة الدين الجديد وكانت اليمن من اوائل تلك القبائل ففي عام الوفود في السنة التاسعة للهجرة ذهب وفد حضرموت الى المدينة المنورة ،حيث" قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاشعث بن قيس في وفد كندة في ثمانين راكبا من كندة، فدخلوا على رسول الله صلى الله

عليه وسلم مسجده وقد رجلوا جممهم وتكحلوا عليهم جبب الحبرة، وقد كففوها بالحرير.فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: - ألم تسلموا ؟

قالوا: بلى.قال: - فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟

قال: فشقوه منها، فألقوه.

ثم قال له الاشعث بن قيس: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار.

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: - ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب، وربيعة بن الحارث.وكان العباس وربيعة تاجرين، وكانا إذا شاعا في بعض العرب فسئلا ممن هما، قالا:- نحن بنو آكل المرار - يتعززان بذلك، وذلك ان كندة كانوا ملوكا ثم قال لهم:- لا، بل نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من أبينا

فقال الاشعث بن قيس الكندي: - هل فرغتم يا معشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين" (١٤).

فلما عاد وفد حضرموت إعتنق أهالي حضرموت كاملة الاسلام – بمن فيهم تريم طبعا – ثم " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء فخرج عليه العنسي وهو بها وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها "(١٥) الذي اتخذ من مدينة تريم مقراً لإقامته ثم" لما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم كتب ابوبكر رضي الله عنه الى زياد بن لبيد الانصاري باخذ البيعة من اهل حضرموت فخرج زياد بن لبيد يدعو الناس لبيعة ابي بكر رضي الله عنه فبايعه خلق كثير منهم سكان شبام والغرفة وسيئون و تريم ومريمه ودمون "(١٦)

ب/ ردة كندة

لكن بيعة ابي بكر لم تكن كاملة فقد" امتنع عن البيعة حارثة بن سُراقة بن معد كرب بن الحارث من عظماء كندة وخطبائها " (١٧) وارتدّ نفر من كندة لما "امتنع عن دفع الزكاة الاشعث بن قيس من سادات كندة وأغنيائها في كثير من اتباعه "(١٨) وكذلك "منع بنو عمرو بن معاوية بقيادة الملوك الأربعة الزكاة [الملوك الاربعة هم جمد ومخوص ومشرح وأبضعه من بني عمرو بن معاوية] واعتصموا بمحاجرهم وخرج من بقي على الإسلام منهم إلى عامل المسلمين زياد بن لبيد البياضي الذي واجه المرتدين وتمكن من قتل الملوك الأربعة، وأمده أبو بكر رضي الله عنه بالمهاجر بن أبي أمية وعكرمة بن أبي جهل لمواجهة كندة بزعامة الأشعث بن قيس، وقد

تمكن المسلمون بعد معارك طويلة من هزيمة كندة وإرسال الأشعث إلى المدينة حيث رجع إلى الإسلام"(١٩) وكان لأهل تريم ممن ثبتوا على إسلامهم دورٌ في قتال المرتدين، ويدل على ذلك ما ذكره الدكتور/ جواد علي عن هذه الحادثة يقوله "لما توفي الرسول، خرج "بنو عمرو بن معاوية" إلى محاجرهم، ونزل "الأشعث بن قيس الكندي" محجرًا، و"السمط بن الأسود" محجرًا، وطابقت "معاوية" كلها على منع الصدقة وأجمعوا على الردة، إلا ما كان من "شرحبيل بن السمط" وابنه، فإنهما خالفاهم في رأيهم، فهجم المسلمون على المحاجر، وقتلوا الملوك الأربعة، وساروا على الأشعث ومن انضم إليه من كندة "(٢٠) فشرحبيل بن السمط وابنه هو من بني عمرو بن معاوية – إحدى بطون كندة- التي منها" امرئ القيس بن السمط بن عمرو بن معاوية من كندة: شاعر مخضرم من أهل حضر موت.ولد بها في مدينة (تريم) وأسلم عند ظهور الاسلام ووصول الدعوة إلى بلاده، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم لما ارتدت حضر موت ثبت على إسلامه.وشهد فتح حصن النجير وخباية (في شرقي تريم) (٢١) فهم تريميون انقسموا عند الرده الى فريقين فريق موال للاشعث ومن معه وآخر محارب له في صف زياد بن لبيد .

ملاحظة:-

ان العبارة التي أوردتها الموسوعة اليمنية " ويقال انه مدفون في جبانة تريم اربعون من اهل بدر"(٢٢) ووضحها موقع دار المصطفى بقوله " وجرح في هذه المعركة عدد من الصحابة فجاءوا إلى تريم للتداوي بها فمات جماعة منهم ودفنوا بمقبرة (زنبل)." وكذلك جاء في كتاب النور السافر " وان بمقبرتها جماعة ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم . وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . وان عددهم سبعون نفرا .."(٢٣) اقول هذه العبارة عن قبور لصحابة بدريين في مقبرة تريم وكذلك عددهم تحتاج لشيء من التحقيق؟!

ج/ نهضة تريم العلمية

كانت نهضة حضرموت العلمية في العصر العباسي صدى لنهضة مركز الخلافة العباسية في بغداد "ولكن لم تظهر هنالك [أي في حضرموت] افكار شاذة واراء غريبة كالقول بخلق القرآن وتناسخ الارواح وانما كان همهم مقصورا على تعلم اللغة العربية والدين وقد بدأت الحركة العلمية من تريم ومنها تسربت إلى شبام فإلى الهجرين ثم إلى الشحر وكانت تلك الحركة في

بدايتها تخطو خطوات بطيئة قصيرة وكان العلماء ينشرون علومهم في صورة محاضرات ومواعظ يلقونها في المساجد والجوامع ومن اواخر القرن الثالث ازدادت الحركة العلمية واتسع نطاقها واقبل الاهلون على مختلف طبقاتهم يطلبون العلم بشغف وولع، الأمر الذي جعل أولئك العلماء ينشئون مكاتب خاصة للتعليم في تريم وسيون والغرفة وشبام وهينين والهجرين ودوعن والشحر "(٢٤) ففي ظل هذه النهضة العلمية ظهرت مدن علمية تتقدمها مدينة تريم " فقد اشتهرت تريم بتقدم العلم فيها وكثرة العلماء والادباء وولع سكانها بالبحوث والمناقشات الدينية والمناظرات الادبية ولقد تصدى كثير من العلماء للفتوى فكانت المسائل والمشاكل الدينية ترد اليهم من كل ارجاء البلاد ومن عدن ومن اليمن وكان طلبة العلم كبارا وصغارا يؤمون مدينة تريم من كل انحاء حضرموت ومن عدن ومن صنعاء و زبيد فأصبحت تريم تموج بالطلبة والعلماء والادباء والفضلاء" (٢٥)

د/ الامام المهاجر ودوره في نشر المذهب الشافعي والنهضة العلمية

لما ظهرت حركة عبدالله بن يحي الكندي المسمى بـ(طالب الحق) في حضرموت سنة ١٢٩ هـ واستطاعت ان تملك اليمن حتى وصلت الى مكة انتشر المذهب الاباضي او الاباضية في مناطق اليمن عامة ومنطقة حضرموت خاصة لكن حضرموت تمكنت من التخلّص من هذا المذهب عن طريق شخصية عظيمة استطاعت نشر المذهب الشافعي هو الامام المهاجر فمن هو الامام المهاجر؟

الامام " المهاجر (٢٦٠ ـ ٣٤٥ هـ = ٨٧٣ ـ ٩٥٦ م) أحمد بن عيسى بن محمد الحسيني العلوي الطالبي، المعروف بالمهاجر: جد بني المهاجر، في حضرموت.ولد ونشأ بالبصرة.وهاجر منها بعائلته وأتباعه إلى المدينة (سنة ٣١٧) وحج (٣١٨) واتصل به بعض الحضارمة، فزينوا له سكنى بلادهم، لمقاومة مذهب (الاباضية) فرحل إليها، ونزل بقرية (الجبيل) في وادي (دوعن) ثم تحول إلى غيرها، واستقر في (الحسيسة) قرب (تريم) إلى أن توفي.وقبره معروف إلى الان.وكان من نسله في حضرموت علماء وأدباء و صلحاء عرف بعضهم بالعلويين، نسبة إلى حفيد له يدعى علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى "(٢٦)

وهذا العلوي " إنما اختار الاستيطان في حضرموت الأرض القاحلة البعيدة لغرض أن يحيى فيها هو ونسله حياة هادئة شريفة مطمئنة يتمكن فيها من أداء واجبه الديني والدنيوي في استقرار وأمان بعدما شاهد ما شاهد في العراق وغيره من الفتن والقلاقل. ولم يرغب المهاجر في الإنقباع والعزلة التامة عن مجتمعه بل أراد أن ينشئ مجتمعا آخر بالوطن الجديد-

حضرموت - كما يحب ويعتقد، ولهذا لم يتخل عن النضال ضد الأباضية - وهم فرقة من الخوارج - وكانوا يمثلون أكثرية سكان حضرموت آنذاك بعد أن جادلهم بالحسنى ، ولما لم يقتنعوا لجأ إلى جهادهم بالسلاح فكان له النصر عليهم بواسطة سكان الجبيل من وادي دوعن المعروفين بحبهم لأهل البيت حتى تمكن بعلمه وشجاعته من نشر السنة"(٢٧) على مذهب الامام الشافعي ..

ثالثا :- تريم في عهد الدول المستقلة

لم يأت اواخر العهد العباسي الا و تريم قد اصبحت مدينة العلم والعلماء ومقصد الطالبين عن العلم الديني والمعرفة ويبدو ذلك جليا من خلال دور العلم والاربطة الشرعية التي احتفلت بها تريم واجتمع بها في عصر واحد من العلماء الذين بلغوا رتبة الإفتاء ثلاثمائة رجل (٢٨) الى جانب كان وجود السادة العلويين - احفاد الامام المهاجر- اثر كبير سنجده في قادم الاحداث..

ا/ ال زياد وال راشد

ظلت تريم تابعة للخلافة العباسية إلى سنة ٢٠٢ هـ ، حيث ملكها بنو زياد، أمراء اليمن مع سائر حضرموت، وامتدت سيطرتهم عليها إلى أن انقرض ملكهم سنة ٤٠٧هـ ، وفي عهدهم في الفترة ما بين ٣٧٥ – ٤٠٢هـ أسس والي ال زياد الحسين بن سلامة المسجد الجامع في تريم أكبر مساجد مدينة تريم، وهو يتوسّط المدينة، ويصل إليه الداخل إلى مدينة تريم من بابها الجنوبي في الشارع الرئيسي الكبير، و يضم هذا الجامع مكتبة الأحقاف للمخطوطات التابعة لوزارة الثقافة، والتي تلي دار المخطوطات بصنعاء في الأهمية، وتحتوي على ما يربو على خمسة آلاف مخطوط، من بينها مخطوطاتٍ حضرمية مكتوبة بخطٍ فنّي رائع، وهذه المكتبة موقوفة على طلبة العلم.(٢٩)

وبعدهم[اي الزياديين] ملكها بنو معن، ملوك عدن- وليسوا بني معن بن زائدة- حتى استولى عليها الصليحي - داعية الفاطميين- وبعد مقتل الصليحي سنة ٤٨١ هـ ،" عادت أمارة تريم إلى آل راشد، بطن من كندة، سنة ٥٧٤ هـ ، حين تغلب على تريم وجميع حضرموت، عثمان الزنجبيلي، من قبل شمس الدين، أخي صلاح الدين الأيوبي وقبض على ملكها عبد الله بن راشد - المولود بتريم سنة ٥٥٣ هـ وبقي أميرا إلى أن قتل سنة ٦١٢ هـ - بعد تنازله عن الملك

طوعا وزهدا فيه، وتجردا للعبادة، وهو مدفون بمريمه." (٣٠) وقد"بلغت تريم في عهده من العلوم الدينية مبلغا ليس له مثيل في حضرموت ولا في اليمن فقد صارت كعبة يؤمها طلاب العلم من سائر انحاء البلاد وكان يرحل اليها بعض اليمنيين من زبيد حتى اذا نالوا حظهم من علوم اللغة والدين عادوا الى زبيد ونشروا ما تلقوه من علماء تريم " (٣١)

ب/ عصر الفوضى

ساد بعد ذلك عصر الفوضى بسبب عدم الاستقرار وكثرة الدويلات المتنازعة على حد توصيف البكري بقوله " اصبحت البلاد في اضطراب مستمر وفي زلزال متواصل وقد يهدأ الاضطراب ويسكن الزلزال ولكنه هدوء متقطع وسكون تتخلله هزات فحينما يشعر زيد بقوة ساعده وبأسه وحينما يجول بخاطره ويطرأ على باله التسلط على العباد و البلاد يأخذ عدته ويصيح في قومه فيهجم ويستولي على بلد او اكثر من بلد ويعلن للناس حكمه الجديد وبعد مضي شهور عليه او سنه او اكثر من سنه يأتي عمرو برجاله فيطرد زيدا وأنصاره ويحكم البلاد حكما يخالف من قبله "(٣٢)

فقد تولى بعد ال راشد على تريم رجال قبيلة نهد، ثم السلطنة اليمانية التي أسسها مسعود بن يماني سنة ٦٤٨هـ بعد أن قامت بينهم حروب تداولوا بها الدولة على تريم. وفي أثناء هذه الحروب، استولت الدولة الرسولية على "تريم" وسائر "حضرموت"، سنة ٦٥٨ هـ ، في عهد ثاني ملوكها المظفر. وفي أواخر القرن السابع الهجري، عادت الدولة إلى آل يماني وآل راصع وبقيت إلى أواخر القرن التاسع، حيث قامت دولة آل عبد الله على "ظفار" و "سيئون " وامتدت إلى "تريم" ولكن الأمر لم يلبث إلا قليلا، حتى عادت الإمارة على "تريم" لآل يماني ولآل راصع، إلى أن اخرجتهم الدولة الزيدية منها سنة ٩٢٦ هـ بمعية بدر أبي طويرق ، الذي تولى الإمارة وسمي سلطانا وهو صغير وقضى على تعدد السلطات والملوك بحضرموت، وقبل سيادة السلاطين آل عثمان عليه بمرسوم من السلطان سليم، سنة ٩٤٤هـ، لما انتابه من هجوم البرتغال على "الشحر" سنة ٩٢٩هـ لكنه في آخر الأمر وثب عليه ابنه عبد الله وتغلب عليه حتى مات سنة ٩٧٧هـ. ثم تناوب الملك أولاده إلى أن انتقض عليه يافع وكانوا جنودا لهم، وطردوا آل كثير سنة ١١١٩ هـ ، وانتهى حكمهم أي- يافع - ببروز الدولة الكثيرية مرة أخرى ومؤسسها السلطان غالب بن محسن وتدخل تريم من جديد في إطار هذه الدولة التي استمرت حتى الجلاء البريطاني من جنوب اليمن عام ١٩٦٧م في عصرنا المعاصر.(٣٣)

رابعا :- الهجرات الحضرمية

ا/ الهجرة الى الشرق الادنى

يقسم المؤرخ صالح بن علي الحامد هجرة الحضارم إلى جنوب شرق آسيا إلى ثلاثة أدوار : فالدور الأول : و يشمل هجرة آل عظمت خان ، و هي من الهجرات القديمة ، و مثلها هجرة الدور الثاني : و يشمل هجرة آل باشيبان و آل بافقيه و آل باعبود و آل الحداد و آل العيدروس ، و هجرات الدور الأول و الثاني كانت عن طريق الهند ، و هما خاصتان بالمهاجرين من الأسر العلوية . أما الدور الثالث : و هو دور التجارة ، و هجراته تشمل العلويين و غير العلويين ، و كان انطلاقها من حضرموت إلى جنوب شرق آسيا مباشرة (٣٤) و هي أعظم الهجرات من حيث عدد المهاجرين و اختلاف انتماءاتهم الاجتماعية ، و كانت في القرن التاسع عشر الميلادي ، و استمرت حتى توقف تيار الهجرة في القرن العشرين ، و بخاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

ولو سألنا متى بدأت هذه الهجرات ؟

يجيب الدكتور/ صالح علي باصرة في كتابه (دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر) "ان العرب وصلوا اندونيسيا قبل وبعد ظهور الاسلام واستمرت العلاقات بين البلاد العربية ومنها اليمن وعلى وجه الخصوص حضرموت واندونيسيا ووصلت هذه العلاقة ذروتها ايام العباسيين بين القرن الثامن والثالث عشر الميلادي"(٣٥)

لكن ما يهمنا هنا هو ما يرتبط بتريم .. ان السادة العلويين الذين اصبحوا من تريم – كما أسلفنا – هم محور الحديث لذا يقول الدكتور/ صالح باصره في كتابه السابق – ناقلا عن الكاتب البريطاني سارجنت - " ان اهم و اول المهاجرين الى تلك الجزر في التاريخ الحديث هم السادة العلويون وقد وصل هؤلاء قبل وصول الهولنديين ونظرا لهجرة عدد كبير منهم الى جاوى والجزر المجاورة لها فقد نشروا المذهب الشافعي "(٣٦)

واستمرت تلك الهجرات حتى مجيء الحرب العالمية الثانية ..

ب/ اسباب الهجرة الحضرمية الى الشرق الادنى

نجمل هذه الاسباب في التالي:-

١/ اقتصادية :-

ان " قسوة الطبيعة في اليمن التي تفتقر للموارد المائية كالانهار واعتمادها بدرجة رئيسية على الامطار التي تتذبذب كمياتها من موسم الى اخر ونظرا للقحط الضارب اطنابه في اليمن فقد هاجر الكثير وما زالوا يهاجرون فقد كانت موجات الجفاف التي شهدتها حضرموت من الاسباب الطبيعية و الاقتصادية التي دفعتهم للهجرة عن وطنهم "(٣٧) وكذلك تحسن الاحوال الاقتصادية للمهاجرين في بلدان المهجر..

٢/ سياسية :-

يتمثل في " انعدام السلطة المركزية التي يمكنها ان تفرض الامن والاستقرار في المنطقة "(٣٨) - كما أوضحنا في عصر الفوضى - اضف الى ذلك ظهور الاستعمار البريطاني الذي زاد الطين بله

٣/ اجتماعية:

التقسيم الطبقي الذي تعيشه حضرموت من طبقات السادة(العلويين) والطبقات الاخرى فقد كانت هجرة هؤلاء الأولين دافعا للآخرين للهجرة..

ج/ الهجرة إلى جزر القمر:

تتكون جزر القمر من أربع جزر أكبرها جزيرة (إنجيزيه) وفيها تقع العاصمة (موروني) لقد هاجر بعض أبناء حضرموت إلى جزر القمر في شكل مجموعات بشرية وذلك منذ القرن الرابع عشر الميلادي وكان المهاجرون الأوائل إلى جزر القمر من العلويين، وهم الذين نشروا الإسلام والمذهب الشافعي في الجزر، وأصبح للعلويين في جزر القمر الزعامة الروحية والدنيوية وهي مستمرة حتى الوقت الراهن. قام بأول زيارة غربية لجزر القمر الملاح البريطاني (جيمس لانكستار) في عام ١٥٩١م ووجد الجزر حينذاك تحت النفوذ والحضارة العربية وقد استمر ذلك النفوذ وتلك الحضارة إلى ما بعد الزيارة بأمد طويل (٣٩).

د/اسباب الهجرة الى شرق افريقيا :-

نجمل هذه الأسباب في التالي:-

١/ التقارب الجغرافي بين اليمن ودول شرق افريقيا يؤدي الى سهول الانتقال والتحرك مقارنة بدول الشرق الادنى

٢/ تقارب العادات بسبب تقارب البيئة وتشابهها بين اليمن ودول شرق افريقيا (٤٠)

نتائج الهجرات

نخلص مما سبق ان الهجرات كانت ذات اثر كبير على المستوى المحلي في حضرموت (بما فيها تريم) وعلى مستوى الديني المتمثل في نشر الإسلام ..يظهر ذلك في التالي :-

١/ كوّن حضارمة تريم في مناطق الهجرة مكانة متميزة ولا سيما السادة العلويين " فقد كان اول من اشتهر من الحضارمة في الهند بني عبدالملك العلويين من تريم حضرموت الذين تمكنوا من خلق علاقات ودية احبهم امراء الهند وشجعهم ذلك على الاتصال بملوك الهند وزعمائهم وعلماء المسلمين ومن ثم فقد انتشروا في الهند واصبحت لهم مكانة عالية بين مسلمي الهند وكان يطلق عليهم لقب " آل عظمة خان" (٤١) كل هذا سمح لهم ان يمارسوا مهامهم الدعوية بحرية مطلقة فانتشر الاسلام في تلك الربوع التي دخلوها وظل الى اليوم في كبريات الدول المسلمة مثل اندونيسيا وماليزيا وغيرها من دول جنوب شرق اسيا. فإندونيسيا مثلا هي الآن أكبر بلد إسلامي من حيث عدد السكان المسلمين الذين يبلغون حاليا هناك حوالي ١٨٧ مليون نسمة (حوالي ٨٥% من العدد الإجمالي للسكان البالغ ٢٢٠ مليون تقريبا).

٢/ بفضل الهجرات العربية الجنوبية الأولى إلى جزر القمر أصبح للعرب وجود مؤثر فيها وأصبح الإسلام دين أغلبية سكان الجزر، وعندما استقلت جزر القمر من الاستعمار الفرنسي سميت بجمهورية جزر القمر الإسلامية واللغة الرسمية لجزر القمر هي السواحلية ولكن بعض السكان يتكلمون اللغة العربية، كما أن في السواحلية الكثير من الكلمات العربية وتكتب في جزر القمر بالحروف العربية، ولكن الحروف اللاتينية أصبحت تنافس الحروف العربية، وهو الأمر الذي ساد كل المناطق الناطقة باللغة السواحلية. إن أبرز قادة استقلال جزر القمر من أصول علوية حضرمية ومنهم: السيد محمد بن شيخ وهو من آل الشيخ أبو بكر بن علوي، وقد تولى رئاسة الحكومة قبل استقلال جزر القمر. والسيد أحمد بن عبدالرحمن العلوي، وكان نائباً في البرلمان الفرنسي ثم في مجلس الشيوخ الفرنسي كممثل عن جزر القمر وقد تولى السيد أحمد بن عبدالرحمن العلوي رئاسة الدولة عام ١٩٧٥م وأعلن استقلال بلاده من جانب واحد بعد أن طالت مفاوضات الاستقلال في فرنسا.وقد أبعدته فرنسا عن الحكم ونفته إلى خارج بلاده، ثم اضطرت إلى إعادته إلى بلاده والاعتراف باستقلال جزر القمر تحت ضغط الحركة الوطنية في جزر القمر وكان ذلك عام ١٩٧٨م (٤٢)

٣/ حقق العلويون نجاحات كبيرة خصوصا عندما عملوا في التجارة فاكتسبوا ثروات كبيرة مكنتهم تحريك النهضة العلمية في مناطق حضرموت عامة و تريم خاصة مثل جمعية الحق- التي اقصت السلطة الكثيرية عن التحكم السياسي بتريم- وجمعية الأخوة والمعاونة (٤٣) وكذلك الرابطة العلوية في الهجر الى جانب الاربطة الدينية في عموم تريم أشهرها" رباط تريم الشهير – والذي يعرف بأزهر حضرموت – وذلك سنة ١٨٨٧ م ، وقد تخرج منه ألوف من العلماء والطلاب بحضرموت وغيرها من مناطق اليمن وعدن والجزيرة العربية والصومال وزنجبار وماليزيا وإندونيسيا وغيرها"(٤٤) وكذلك الحياة الثقافية لتريم من خلال مدارس الكاف ومدرسة الحق ومن الاعمال التي جلبت الخير على تريم طريق آل الكاف فقد رأى السيد أبوبكر بن شيخ الكاف وعورة المسالك من ساحل الى داخلية حضرموت، وبنى من جيبه الخاص طريقاً معبدة تمتد من تريم إلى ريدة المعارة بلغت تكاليفها ١٥٠ ألف ريال، في ثلاثينات القرن الماضي، وهو أول طريق يعبد بحضرموت لمرور السيارات يقوم به فرد واحد على نفقته الخاصة، فالطريق المعبد (طريق الكاف) كان في ذلك الوقت محفوفاً بالمخاطر لأنه يمر بالقرب من قبائل البادية التي لها نفوذ في مواقعها، فاتصل بهم وأرضاهم وتعاقد معهم وقدم لهم المعونات وحفر لهم الآبار، وكتب عليهم الوثائق لكي يحافظوا على سلامة السالكين لهذا الطريق، وعملت خرائط أخرى بطلبه للطرق الأخرى والأودية من تريم إلى المكلا. (٤٥)

خامسا:- تريم في العصر الحالي

منذ اوائل القرن العشرين وحتى الاستقلال عام ١٩٦٧م ظهرت نهضة ثقافية واقتصادية في تريم متمثلة في الجمعيات الثقافية مثل جمعية الحق - السالفة الذكر- عام ١٩١٦م والاخوة والمعونة عام ١٩٢٩م والمدارس لتابعة لهما وصحيفة الاخاء عام ١٩٣٨م وصحيفة حضرموت عام ١٩١٧م و جمعية نشر الفضائل (تأسست عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م) وشركة الخير التي أسست في تريم المؤسسة من قبل السادة آل الكاف والسيد هود السقاف (٤٦) كما صدرت عن مكتب الطلبة بتريم (مجلة التلميذ) وهي مجلة علمية أدبية فكاهية سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م وكذلك لم تغب تريم عن العهد المعاصر في نهضتها متمثلة في فتح المجال للبناء وتأسيس المراكز والمدارس والمعاهد وحصل تطور وتوسع كمي في عدد المدارس الابتدائية ، وتم الفصل بين البنين والبنات، وافتتحت عدد من المدارس الثانوية في القرى

واستأنف رباط تريم نشاطه ، وفتح معهد (السيدة خديجة) ومعهد (الفاروق) اللذان أغلقا فيما بعد ، كما أسست عدد من المدارس الأهلية ومنها (دار المصطفى للدراسات الإسلامية) (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، و(دار السقاف) و(مدارس النجاح) و(كلية الشريعة بجامعة الأحقاف) ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ، وفتحت مدارس تحفيظ القرآن الكريم في المساجد حيث تخرج منها المئات من حفاظ كتاب الله سبحانه وتعالى، من الذكور والإناث ، وامتلأت الساحة بالمنابر الفكرية والثقافية ابتداءً من المنتديات الثقافية التي بدأها (منتدى تريم الثقافي) عام ١٤١١هـ /١٩٩٠م ، برعاية من اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين / فرع سيئون ، ثم توالى تأسيس منتديات (حي فلوبنا) ، (وجماعة أدباء تريم) و(منتديات وادي حضرموت) وجمعيات التراث وفرق الإنشاد والتمثيل ، وتحسنت أوضاع مكتبة الأحقاف للمخطوطات، و برز مركز النور للدراسات والأبحاث الذي أسسه الداعية العلامة عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ كمؤسسة علمية منذ محرم سنة ١٤٢٣هـ/أبريل٢٠٠٢م وفُتحت مكتبات للبيع ومن أهمها (مكتبة تريم الحديثة) ، كما فتحت مكتبات للقراءة والمطالعة أهمها (مكتبة كلية الشريعة) ، (مكتبة خرد) ومكتبات المساجد ، ودخلت ولأول مرة مراكز البحث والدراسات والنشر ومنها (تريم للدراسات والنشر) و(مركز النور للدراسات والنشر) و(دار الفقيه للنشر والتوزيع) و (دار الأصول للنشر والتوزيع والدراسات الإسلامية) وغيرها .

وانتعش مجال التأليف وإعادة طباعة بعض الكتب والمخطوطات ، وبالرغم من توفر الوسائل الحديثة والتطور التقني في مختلف مراحل التعليم وانتشار العلم والثقافة، إلا أن حجم الإبداع الأدبي وخاصة في مجال الشعر والقصة والرواية تراجع مقارنة بالفترات السابقة ، وضعف النشاط الثقافي في المدارس وخاصة في التعليم الثانوي والجامعي ، وظل محصوراً في مناسبات موسمية ، أما الصحافة فقد صدرت مجلة (أنوار التلاقي) عن دار المصطفى ثم توقفت وظلت صحيفة (الشروق) التي تصدر عن (التجمع اليمني للإصلاح) حاضرة لتكون الاستثناء في مدينة اشتهرت بالعلم والثقافة ، بيد أن البنى التحتية لنشر الثقافة لم تشهد تطورا ملحوظاً ، فلا توجد مجمعات أو(دور ثقافية) تحتوي على مكتبات وقاعات محاضرات وبرامج ثقافية ، كما لم تشهد المدينة أسابيع ثقافية ومسابقات في البحث وفروع الأدب ورعاية للموهوبين ، وانحصر النشاط في محاضرات وندوات تفتقر إلى المكان المناسب و(ألعاب شعبية) مكررة أوعناية بالتراث الشعبي والمعماري، وهي جهود لا غبار عليها لكنها لا تنقل المجتمع إلى النهضة

المنشودة والتطور الحضاري والتنافس المعرفي ، وللجمعيات الخيرية التي أسست بعد قيام الوحدة اليمنية نشاط ملحوظ في نشر العلم الشرعي والعناية بكتاب الله سبحانه وتعالى ورعاية ودعم الطلاب .(٤٧)

الخلاصة

يمكنني ان ألخص هذه الورقة(العطاء الحضاري لمدينة تريم عبر ادوار التاريخ) الى الاتي:-

- في العصر القديم كانت تريم احدى محطات طريق اللبان الشهير
- في العصر الاسلامي الاول كانت مركزا لعامل رسول الله (ص) وكانت المنطلق لحرب ردة كندة
- في العصر العباسي والدويلات المستقلة كانت رائدة التعليم الديني في حضرموت واليمن
- في العصر العباسي كانت هجرات الحضارم (بمن فيهم اهل تريم) منطلق نشر الاسلام للشرق الاقصى وشرق افريقيا
- مازال ازدهر تريم حتى اليوم والذي توج باختيارها عاصمة للثقافة الاسلامية لعام ٢٠١٠م

***

الهوامش والمراجع:-

(١) مطهر علي الارياني: " نقوش مسندية وتعليقات"، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء،ط٢ ،١٩٩٠م ، ص ١٩٦-٢٠٥.

(٢) الموسوعة اليمنية، ط١، ص ٢٣٦ .

(٣) مطهر علي الارياني ، المصدر السابق ، ص ١٩٣ .

(٤) الحسن بن احمد الهمداني : "صفة جزيرة العرب"، تحقيق : محمد علي الاكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء ، ط١٩٩٠،١م ، ص ١٧٠.

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٩٣.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٤٦.

(٧) الموسوعة اليمنية ، ط٢، ص ٦٦٥ .

(٨) ياقوت الحموي: "معجم البلدان" ، دار إحياء التراث العربي ، ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م، مج ١ ، ص ٤٤٢.

(٩) عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف: "ادام القوت بذكر بلدان حضرموت"، تحقيق :إبراهيم المقحفي ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٤٩٠.

(١٠) الموسوعة اليمنية ، ط٢، ص٥٩٥

(١١) المصدر السابق ، ص٥٩٧.

(١٢) يوسف محمد عبدالله : "أوراق في تاريخ اليمن وآثاره"، دار الفكر، دمشق – بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٠م ، ص ٢٢٠.

(١٣) محمد عبد الله باسلامة : "الحضارة اليمنية القديمة والمنقولات الأثرية للخارج "، مجلة الإكليل ،وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء العدد ٢٨، ٢٠٠٤م، ص٥٨.

(١٤) محمد بن يوسف الصالحي الشامي: "سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد" ،ج٦ ص٢٧٦.

(١٥) أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي: "الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء"، تحقيق: د/ محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ، ج٢ ص٣٣٠.

(١٦) صلاح البكري اليافعي : "تاريخ حضرموت السياسي" ، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٥٣هـ ، ج١ ، ص٧٦.

(١٧) المصدر السابق

(١٨) المصدر السابق

(١٩) محمد بن جرير الطبري : "تاريخ الأمم والملوك" ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١،١٤٠٧

، ج ٣ ص٣٣٤ _ ٣٣٩.

(٢٠) الدكتور جواد علي ،"المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام"، دار الساقي ، بيروت، ط٤،
٢٠٠١م ، ج٧ ص ١٩٨.

(٢١) خيرالدين الزركلي ، "الأعلام" ، ج ٢ ص١٢.

(٢٢) الموسوعة اليمنية ، ط٢، ص٦٦٦.

(٢٣) انظر موقع دار المصطفى www.daralmostafa.com و كتاب "النور السافر عن أخبار القرن العاشر"، العيدروس ، ج١ ص٤٢(من قرص الموسوعة الشاملة الاصدار الثالث)

(٢٤) صلاح البكري اليافعي ، المرجع السابق ص٩٥- ٩٦

(٢٥) المصدر السابق ، ص٩٦

(٢٦) خيرالدين الزركلي ، مرجع سابق ص١٩١

(٢٧) محمد بن احمد بن عمر الشاطري: "سيرة السلف من بني علوي الحسينيين" (محاضرة ألقاها المؤلف في لفيف من الشباب بدار الفقيه المقدم بتريم سنة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م)، ص٩ و١٠ بتصرف

(٢٨) العيدروس ، مرجع سابق ص٤٢

(٢٩) محمد احمد الشاطري : "ادوار التاريخ الحضرمي"، دار المهاجرين، المدينة المنورة، ط٣ ، ١٩٩٤م، ج١، ص١٤٥

(٣٠) المصدر السابق ، ص ١٠٣-١٠٥ (بتصريف)

(٣١) المصدر السابق ، ص١٠٣

(٣٢) المصدر السابق ، ص١١٢

(٣٣) احمد عبيد بن دغر : "حضرموت والاستعمار البريطاني ١٩٣٧-١٩٦٧" ، مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط١، ٢٠٠٠م ، الصفحات ٣٢-٣٠ بتصرف

(٣٤) صالح بن على الحامد: "رحلة جاوا الجميلة"، تريم للدراسات والنشر، ط٢، ٢٠٠١م، ص٣٨

(٣٥) أ.د/ صالح علي عمر باصرة ،" دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر"،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمّان-الاردن،ط١، ٢٠٠١م ، ص٨٩

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٩٠

(٣٧) يحي محمد احمد غالب، "الهجرات اليمنية الى اندونيسيا للفترة من ١٨٣٩-١٩١٤"، تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٨م ، ص٥٩

(٣٨) المصدر السابق ، ص٦٤

(٣٩) محمد عبدالقادر بامطرف، "الهجرة اليمنية"، إصدار وزارة المغتربين، طباعة الآفاق للطباعة والنشر صنعاء ، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٧

(٤٠) يحي محمد احمد غالب، المصدر السابق ، ص٨٧ (بتصرف)

(٤١) المصدر السابق ، ص٨٩

(٤٢) علوي بن طاهر الحداد،"الإسلام والمسلمون في العالم"، الجزء الأول مدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، ترتيب وتحقيق وتعليق : محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة، جدة،ط١ ،١٩٨٥م ، ص ١٧٣.

(٤٣) عبدالله سعيد سليمان الجعيدي ، "الاوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت ١٩١٨-١٩٤٥"،دار الثقافة العربية للنشر ، الشارقة-الامارات العربية المتحدة ، ط١،٢٠٠١م، ص٦٠-٦٣ (بتصرف)

(٤٤) محمد احمد الشاطري ، ادوار التاريخ الحضرمي..مرجع سابق، ص ٤٢٢ – ٤٢٣ (بتصرف)

(٤٥) انظر: أحمد عوض باوزير،"الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي بين الحربين العالميتين (١٩١٤ – ١٩٣٩م) "، بحث ضمن وثائق الندوة العلمية التاريخية حول المقاومة الشعبية في حضرموت ط،١٤١٠هـ/١٩٨٩م، جامعة عدن كلية التربية المكلا .ص٢٢و٣٨ و، جعفر السقاف ، "من تاريخ الحركات الشعبية الإصلاحية في حضرموت"، وثائق الندوة ص٢٦ و علي عقيل ، حضرموت ،الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م مطبعة سوريا، دمشق، ص ٩٦ .(بتصرف)

(٤٦) عبدالله سعيد سليمان الجعيدي ، المرجع السابق ، الصفحات ٦٠-٦٧و٧٨-٨٠ و٨٩ (بتصرف)

(٤٧) نقلا عن موقع ww.tareem-2010.com مقالة (ريادة النهضة العلمية والثقافية في تريم) (بتصرف)

مع تحيات

موقع عيون المعرفة

www.know-e.com